المورد

مجلة تراثية فصلية
تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الشؤون الثقافية العامة
الجمهورية العراقية

المجلد الخامس عشر - العدد الثاني ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

٢

WWW.ATTAWEEL.COM

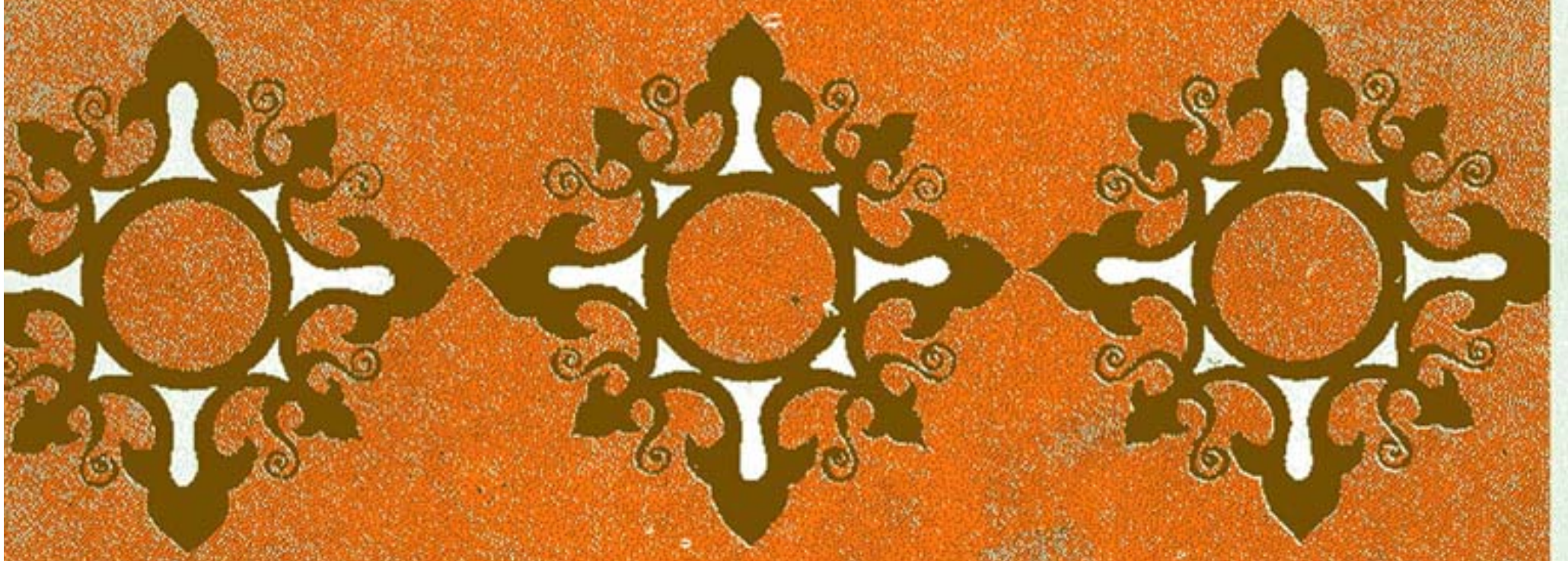

أسد الدين محمد

سُلَّمُ الآحادِ العَدِّيّ لِلأعْدادِ العَرَبِيّة

المدكتور

عبد الأمير محمد أمين الورد

كلية الاداب/جامعة بغداد

يدرس هذا البحث الاعداد بصورها المحوضة والفاظها المعروفة مجرّدة من اي وصف او إشارة او مفاد غير مفاد التتالي والتتابع .

ويتكوّن هذا السلّم من الاعداد منتضدة من « الواحد » الى « العشرة » حسب تزايدها تزايداً منتظما ، بدء بذكر الوحدة الاولى المسماة بلفظ « واحد » ، ثم بإضافتها الى وحدة مثلها لتكوين وحدة جديدة مسماة بلفظ « اثنين » ، ثم بإضافة الوحدة الأولى ايضاً الى الوحدة الثانية « اثنين » لتكوين وحدة جديدة ثالثة مسماة بلفظ « ثلاثة » . ثمّ تستمر إضافة الوحدة الاولى الى كلّ وحدة جديدة بصورة متتالية لتكوّن سلسلة من الوحدات هي « اربعة » و « خمسة » و « ستة » و « سبعة » و « ثمانية » و « تسعة » و « عشرة » .

يثير هذا السلّم عددا من المناقشات . وقبل ان نمضي في تناول اي منها تجدر الإشارة إلى امر ذي اهميّة ؛ انّه لا يوجد العدد مجرّداً من المعدود ، ممحوض الدلالة على العدّ والتسلسل ، الاّ في التريّض البحت (Pure Mathematics) فإذا خرج العدد منه ارتبط بالمعدود الا نادراً ، كما سيمرّ بنا ذلك في بحوث قابلة ان شاء الله تعالى .

● ★ ●

لعلّ اوّل ما يثير هذا السلّم من المناقشات اختلاف زنات الالفاظ فيه . اذ تنتظم الفاظه ثماني زنات هي :

١ : فاعِل : وعليها لفظ واحد لاغير منها هو « واحد » .

٢ : افعان : وعليها لفظ واحد لا غير منها هو « اثنان » .

٣ : فَعالة : وعليها لفظ واحد لاغير منها هو « ثلاثة » .

٤ : اَفْعَلَة : وعليها لفظ واحد لا غير منها هو « اربعة » .

٥ : فَعْلة : وعليها لفظان اثنان منها هما «خمسة» و « سبعة » .

٦ : فِعْلة : وعليها لفظان اثنان منها هما « ستة » و « تسعة » .

٧ : فَعالِية : وعليها لفظ واحد منها لا غير هو « ثمانية » .

٨ : فَعَالَة : وعليها لفظ واحد منها لاغير «عشرة»

والعربيّة ليست بدعا في عدم قياسته الزنات في الاعداد فمثلها في ذلك مثل اخواتها من الساميّات . فالدارس الذي يستخلص الفاظ الاعداد فيها من قاموس اللغات السامية الذي اورده ولفنسون في كتابه « تاريخ اللغات السامية » ينتظم عنده الجدول الآتي :

WWW.ATTAWEEL.COM

العربية	الاشورية البابلية	العبرية	الارامية	لغات جنوب الجزيرة والحبشة
احدٌ (واحد)	ادُو	احاد	حدٌ	اَحدٌ
اثنان	شِنا	شنايم	ترين	سَنِيت
ثلاثةٌ	شلاشو	شلوش	تلاتٌ	شلاّس
اربعةٌ	اربَعو	اَرْبَع	اَرْبَع	اَرْبَع
خمسةٌ	خمشو	حَمْش	حَمْشا	خَمْس
ستةٌ	ششو	ششّ	شتّا	سِتّو
سبعةٌ	سِبّو	شبع	شبْعٌ	سَبْعو
ثمانيةٌ	شمانو	شمونة	ثمانا	سَمَانِي
تسعةٌ	تِشوُ	تشع	تشَع	تشعٌ
عشرةٌ	عشرو	عسر	عشَرٌ	عَشَرُو

« تحتسب e فتحة ممالة ممطولة و o ضمة ممالة ممطولة » .

ويتضح بشكل غير مناقش انّ الآشوريّة البابليّة تستخدم ثماني زنات للتعبير عن الفاظ الاعداد العشرة ، إذ تتحد فيها صيغة اللفظين المعبّرين عن العدد « واحد » والعدد « ستة » ، وصيغة اللفظين المعبّرين عن العدد « سبعة » والعدد « تسعة » وتستخدم العبريّة تسع زنات ، اذ تتّحد فيها صيغة اللفظين المعبّرَيْن عن العدد « سبعة » والعدد « تسعة » . وتستخدم الآراميّة ثماني زنات ، اذ تتّحد فيها صيغة الالفاظ المعبّرة عن الاعداد « سبعة » و « تسعة » و « عشرة » . وتستخدم لغات جنوب الجزيرة والحبشة تسع زنات ، اذ تتحد فيها صيغة اللفظين المعبّرين عن العدد « سبعة » والعدد « عشرة »(١) .

وهذه الظاهرة في تعدد زنات الفاظ الاعداد ليست وقفاً على الساميّات ، بل لعلّه ظاهرة لغوية عامّة(٢) .

ولئن دلّ هذا على شيء فهو يدلّ على انّ الاعداد في اللغات كلّ اللغات لم تنبثق في ذهن الانسان في ابّة لغة مرّة واحدة وفي ظرف واحد ؛ بل دعت إلى كلّ واحد منها دواعٍ تخالف تلك التي دعت الى سواه ، فجاءت متلوّنة متنوّعة الجرس والصيغة(٢) .

● ★ ●

ثاني ما يشير هذا السلّم من المناقشات هو مفادات زنات الالفاظ فيه . فبالرغم من اننا لا نعرف تطوّر اللفظ العدديّ في خلال العصور في غير العربيّة ، وفي العربيّة ايضا ؛ يمكن القول إن الزنات الثماني للسلّم العدديّ الاوّل في العربيّة غير منفصلة عن سائر زنات العربيّة عامّة ، وليست شاذّة عنها . اي إنّ العربيّة لم تؤثر العدد في السلّم العدديّ الاوّل هذا بوزن مقصور عليه لا يشركه فيه شيء من غير العدد . ويتضح ذلك مما ياتي :

١ : جاء لفظ « واحد » على زنة « فاعل » كما مرّ . وهذا الوزن ياتي اسما مثل « كاهل » و « غارب » و « ساعد » و « كاحل » ، ويأتي

(١) تاريخ اللغات السامية ٢٨٢ ــ ٢٩٤ . وقد اثر المؤلف في قاموسه ان يورد الالفاظ في العربية مؤنثة الا لفظ «واحد». فذكر «اثنان» ثم جاء بما بعدها مجردا من الهاء . واورد لفظ «ثمان» مضموم النون منونها .

(٢) السلم في الانكليزية هو
— Three - two - one - seven - six - five - four - ten - nine - eight والزنات فيه كما هو مبين
تسع لتوحد الزنة في اللفظين المعبرين عن العدد «خمسة» والعدد «تسعة» والسلم في الكردية هو «يەك» «دو» «سێ» «چوار» «پێنج» «شەش» «حەوت» «هەشت» «نۆ» «دە» .

(٣) هذه الكلمة تقال مع التحفظ في التعامل مع اللغتين الانكليزية والكردية بالميزان او اللوق الصرفي العربي الذي قد يسوغ لنا قرب العربية من الساميات التعامل به معها . وانما هي استئناسة نسوقها سوقا .

وصفا مثل « ضارب » و « قاتل » و « جالس »(٤) فاذا جاء وصفا كان له ان يعمل عمل فعله بشروط استقصاها النحاة(٥) ؛ وهو عندما يكون وصفا لفظ يدلّ على من يقع منه الفعل(٦) . وله من الدلالات غير هذه ، الدلالة على اسم المفعول(٧) ، والدلالة على المصدر(٨) ، والدلالة على المفعول فيه(٩) ، والدلالة على معنى الجمع(١٠) ، والدلالة على معنى « صاحب الشيء » او «ذي الشيء»(١١)؛ والدلالة على معنى المبالغة(١٢) ، والدلالة على الغريزة(١٣) ؛ والدلالة على معنى الصفة المشبّهة(١٤) ، والدلالة على الوصف للمؤنث من غيرهاء ، التأنيث(١٥) .

ولفظ « واحد » في السلّم العدديّ المجرد اسم لمفتتح العدد(١٦) ، أو هو مفتتح العدد(١٧) ، او اوّل عدد الحساب(١٨) ، او اوّل العدد(١٩) هو إذنْ ليس وصفا في افتتاح العدد بل اسم(٢٠) . وقد يكون وصفا في غير هذا السياق ، كما سيأتي في قابل الدراسات إن شاء الله تعالى(٢١) .

(٤) ابنية الصرف في كتاب سيبويه ١٥٤ والممتع في التصريف ١ / ٨٠.
(٥) الكتاب لسيبويه ٥ / ٢٥٢ و شرح بن عقيل لالفية بن مالك ٢/٨٨ وما بعدها .
(٦) شذا العرف في فن الصرف ٧٧ وشرح الرضي على الشافية ١٤٨/١ .
(٧) معاني القرآن للفراء ١٨٢/٣ .
(٨) الكامل في اللغة والادب للمبرد ١٠٦/١ .
(٩) معاني القرآن للفراء ٢٦٣/٢ .
(١٠) اللسان «سمر» و «جمل» و «بقر» .
(١١) المختار من صحاح اللغة «رمح» وشذ العرف ١٤١ . والتبيان للعكبري ١٢٣٧ واللسان «حبل» .
(١٢) ابنية الصرف ٢٧٣ .
(١٣) شذا العرف ١١٤ .
(١٤) شرح الرضي على الشافية ١٢٧/١ و ١٤٨ وشذا العرف ٨١ .
(١٥) ديوان الادب للفارابي ٢٤٤/١ ـ ٢٦٣ وجمهرة اللغة لابن دريد ٤٥/٣ و ٤٤٦ والمزهر في علوم اللغة للسيوطي ٨٨/٢ و ٨٩ .
(١٦) اللسان «وحد» والمصباح المنير «وحد» .
(١٧) المصباح «كالسابق» .
(١٨) القاموس المحيط «الواحد» واللسان «وحد» .
(١٩) المخصص لابن سيدة ٩٧/١٧ و ٩٨ والمختار من صحاح اللغة «وحد» واللسان «وحد» .
(٢٠) المخصص «كالسابق» .
(٢١) الآيات في يوسف ٣٩/١٢ و ٦٧ والرعد ٤/١٢ و ١٦ وابراهيم ١٨/١٤ و٥٢ وص ٥/٣٨ و ٦٥ والزمر ٤/٣٩ وغافر ١٦/٤٠ والبقرة ٦١\٢ و١٣٣ و ١٦٣ والنساء ١١/٤و١٢ و١٧١ والمائدة/٧٣والانعام١٩/٦ والنحل ٢٢/١٦ و٥١ والكهف ١١٠/١٨ والانبياء ١٠٨\٢١ والحج ٣٤\٢٢ والنور ٢\٢٤ والعنكبوت ٤٦\٢٩ والصافات ٤\٣٧ وفصلت ٦\٤١ والتوبة ٣١\٩ والفرقان٢٥\ ٢٤ والمخصص ٩٧\١٧.

ولم يتناوله المشترك اللفظيّ ، فلم يتعاوره اكثر من معنى ؛ لذلك لا تجد له في كتب اللغة غير صورة متقاربة من التعبيرات ، إذ كان المعنى فيه واحدا .

ومن خصائص لفظ « واحد » ما نصّ عليه الفيروزآباديّ من انه ليس له تثنية(٢٢) ، وما قصد من ذلك هو انه لا مثنى له من لفظه . وشفع قوله هذا بقوله « ولا للاثنين واحد من جنسه »(٢٣) ، اي من لفظه ايضا . ولكنّ الفيروزابادي نفسه هو الذي قال في موضع آخر « الواحد اوّل عدد الحساب وقد يثنّى »(٢٤) . واشار ابن منظور ايضا الى تثنية الواحد بعبارة مقاربة ، واورد شاهدا شعريا رواه ابن الأعرابيّ هو :

فلمّا التقينا واحدَيْن علَوْتُه
بذي الكفّ إنّي للكماة ضروب(٢٥)

وجليّ ان التثنية جاءت للدلالة على الوصف لا على تثنية اوّل عدد الحساب ؛ لذلك لا يعتدّ بها في هذا الموضع من الدراسة .

اما جمع الواحد وتثنيته اللذان لا تكاد تخلو منهما كتب اللغة ومراجعها فالكلام عليهما يندرج تحت الوصف بالعدد ، لانهما لا يدلان على « جمع » او « تثنية » اوّل عدد الحساب ايضا . وقد قال ابن جنّي في الواحد يراد به العدد انه لا يثنىّ ولا يجمع ؛ الا ترى انهم قد استغنوا عن تثنيته بـ « اثنين » وعن جمعه بـ « ثلاثة » ؟(٢٦) .

وهكذا نجد لفظ « واحد » قد جاء مصوغا على وزن له دلالات كثيرة ؛ وورد في كلّ دلالة عدد كبير من الالفاظ .

● ★ ●

٢ : جاء لفظ « اثنان » على وزن « افعان » من المثنّى ، فالهمزة فيه وصل ؛ والالف والنون للتثنية . ومثله « اسمان » و « ابنان » مثنّى ـ « اسم » و « ابن » . وتقول كتب العربية : « اثنان « ضعف الواحد »(٢٧) وهو « اسم من اسماء العدد ، اسم للتثنية »(٢٨) .

(٢٢) القاموس المحيط «الاحد» .
(٢٣) السابق .
(٢٤) السابق «الواحد» .
(٢٥) اللسان «وحد» .
(٢٦) المخصص ٩٧/١٧ و ٩٨ .
(٢٧) اللسان «ثنى» والقاموس المحيط «ثنى» .
(٢٨) المصباح المنير «التثنية» .

وتجمع المصادر على انه من مادة ثنى يثنى ثنيا » ، اذ تضعه المعجمات وكتب اللغة والصرف في هذه المادة قائلة إنّ اصله « ثَنَيْ » : « فَعَلٌ » لحملهم اياه على « اثناء »(٢٩) ، فهو من « ثَنَيْتُ » بوزن « قَلَمْ » ؛ لان « الاثنين » قد « ثَنَى » احدهما على صاحبه ، ويجوز ان يكون اصله « ثَنْيٌ » كـ « جِذْع »(٣٠) .

وهكذا يربط اللغويّون هذا اللفظ إلى « ثَنَى الشيء يثنيه ثنيا : ردّ بعضه على بعض ، وقد تثنى وانثنى . واثناؤه ومثانيه : قواه وطاقه، واحدها « ثِنيٌ » و «مَثْناة» و «مِثناة» . وتمضي مسيرة الاشتقاق قائلة : « انثنى : انعطف ، وكذلك اثنوى على « افعوعل » . و « اثنوى في صدره على البغضاء : انحنى وانطوى . وكلّ شيء عطفته فقد ثنيته » ... و « الثني : ضم واحد الى واحد . والثني : الاسم والثنى : الامر يعاد مرتين ، وان يفعل الشيء مرتين ... ويقال : ثِنَى وثُنَى »(٣١) .

ولكنّ اللغويين اذ يقررون هذا ، واذ يضيفون ان « الاثنين » قد ثني احدهما على صاحبه(٣٢) ، يقررون ايضا انه ليس للواحد تثنية، ولا للاثنين واحد من جنسه »(٣٣) . فيمكن القول من بعد هذا : إنّ لفظ « ثِنْي » أو « ثَنَى » أو « ثِنَى » أو « ثُنَى » إنْ صحّ ان احدها مفرد حقيقي ، او مقدر متصور ! « اثنان » هو كلفظ « اخ » أو « زوج » او « توأم » او « صديق » ، يدلّ على المفرد مع اشارته الى علاقة تربطه بلفظ آخر مثله ؛ فهو بهذا لا يستغني في التثنية عن الاسلوب المتّبع في صوغ المثنى ، والملتزم بإتباع المفرد الفا ونونا مكسورة في حال الرفع ، وياء ونونا مكسورة في حالي النصب والجرّ . مع سقوط النون إذا اضيف الاسم الى ما بعده .

ولكن لفظ « اثنان » ليس مثنّى في راي النحاة بل ملحق به ، اذ هو خارج عن حدّ التثنية . وعبارة ابي السعادات ابن الشجريّ دقيقة في حدّ التثنية والجمع ، اذ يقول : « التثنية والجمع المستعملان بالحرف اصلهما التثنية والجمع المستعملان بالعطف ؛ فقولك : « جاء الرجلان » و « مررت بالزيدين » اصله : جاء الرجل والرجل ، و : مررت بزيد وزيد . فحذفوا العاطف والمعطوف ، و اقاموا حرف التثنية مقامهما اختصارا . وصحّ ذلك لاتفاق الذاتين في التسمية بلفظ واحد . فإن اختلف لفظ الاسمين رجعوا الى التكرير بالعاطف »(٣٤) .

لذلك عدّ « اثنان » و « اثنتان » و « ثنتان » خوارج عن حدّ التثنية ، ملحقات بالمثنى ؛ اذ لم يسمع « اثن » ولا « اثنة » ولا « ثنت »(٣٥) . ويقول الليث : « اثنان » اسمان لا يفردان قرينان؛ لا يقال لأحدهما « اثن » كما انّ « ثلاثة » اسماء مقترنة لاتفترق »(٣٦) .

وهنا يظهر المجال واسعا امام تعليلات الصرف لتقول كلمتها فتسدّ بها هذه الثغرة ، اذ تقول بلسان ابن سيده : « قال ابو عليّ « اثنان » محذوف موضع اللام ، كما انّ قولهم « ابنان » كذلك(٣٧) ، ونجد الفيّوميّ بعده يقول : « الاثنان » من اسماء العدد : اسم للتثنية حذفت لامه وهي ياء . وتقدير الواحد « ثَنَى » وزان « سبب » ، ثم عوّض همزة وصل فقيل « اثنان » وللمؤنث « اثنتان » ، كما قيل : « ابنان » و « ابنتان »(٣٨) .

نصل من هذا الى ان « اثنان » يحمل دلالتين ؛ دلالة التكرار والورود لاكثر من مرّة ، وهذا ما تنبض به المادّة اللغويّة « ثنى » ، ودلالة تحديد عدد هذا التكرار ، وهذا ماتنهض به الصيغة إذ تلحقه بالمثنّى في حين انّ الصيغة واللفظ اتّحدا في لفظ العدد « واحد » وتظافرا وتظاهرا .

ويمكن ان نفترض ان ارتباط مادة « ثنى » في العربية بالعدد ظهر بعد ظهور اسلوب التثنية بالالف والنون. اي انّ اصل ماظهر هو المادة «ثنى» الدالّة على الانعطاف والتكرّر غير المحدود الكميّة ولا ذي الدلالة على عدد ، ثم ارتبط هذا اللفظ بالعدد بإلحاقه بالمثنّى بزيادة الالف والنون او الياء والنون . ومن هذه المفردة الجديدة الحاملة

(٢٩) المصباح المنير والقاموس المحيط كالسابق والامالي الشجرية ٦٩/٢ .
(٣٠) الامالي الشجرية ٢ /٦٩ و ٧٠ .
(٣١) اللسان «ثنى» .
(٣٢) الامالي الشجرية ٦٩/٢ .
(٣٣) القاموس(المحيط «الاحد» .
(٣٤) الامالي الشجرية ١٠/١٠ .
(٣٥) شرح الاشموني ٧٦/١ .
(٣٦) اللسان «ثنى» .
(٣٧) المخصص ٩٨/١٧ .
(٣٨) المصباح المنير «ثنية» .

للمعنيين مرتبطين اشتق ما جاء من الالفاظ دالاً على الثنائيـة مثل « المثنّى » و « المثنّى » و « الثناء » وغيرها .

وآية ما نذهب اليه :

عـ : ان الالف والنون ماتزالان اية التثنيـة في الاسـم ، وفي الفعـل ايضا ؛ كما في المضـارع « يذهبان » و « تتحـدّثان » . وتحمـل الالف وحدها مهمّة التثنية في الماضي مثل « ذهبا » و « تحدثـا » و « ذهبتـا » و « تحدثتـا » ، وفي المضارع المنصوب والمجزوم مثل « لن يتحدّثا » و « لن يذهبا » ، و « لم تتحدثا » و « لم تذهبا »؛ وفي الامـر مثل : « إذهبا » و « تحدثا » ، وفي اضافة المثنّى الى ما بعده مثل « ولدا زيد » . و تبدل في الاسم ياءً في النصب والجرّ .

ب انّ مادة (ثنى) في العربية لم تعبّـر عن التكرار مرّة ومرّة لا اكثر في العدد إلاّ مرتبطة بالالف والنون . اي ان اصل ماظهر هو المادة «ثنى» لا اكثر في اللغة كلّها . ولو كانت المادة اللغوية هي التي تملك التعبير عن تكرار الوحدة العدديّة مرّة ومرّة لا اكثر في العربيّة لما احتاجت الى الارتباط بالالف والنون .

ج : إنّ لفظ العدد « اثنان » يغاير الفاظ سائر الاعداد الثمانية التي تليه في صيغها الصرفية السـتّ في كونه يدل على جمعيّة التكرار بالصيغة الصرفيّة ، وعلى كميّة التكرار بالمادة اللغوية كما سيتضح ذلك في قابل ان شاء الله تعالى .

د : إنّ « اثنان » يتّخذ منهجا قياسيّا في التثنية مشبها بذلك كلّ مثنّى آخر ، في حين لا يتّخذ سائر ما يليه من الاعداد منهجا قياسيّا ما ؛ وذلك ناتج عن انّ مرتبة التثنية مرتبة واحدة في حين انّ مرتبة الجمعيّة تختلف حسب الكميّة ؛ فلكلّ كميّة سماع خاصّ بها .

ج : تقدّم لنا نظرة إلى اسماء العدد «اثنين» في جدول الساميات السابق ذكره ما يأتي من الحقائق :

★ : ان الساميات جميعـا الا العربـيـة وحدها عمدت الى محاولة جعل اللفظ الدال على المثنّى في مادّته اللغويّة يقوم على الثلاثية ، وذلك لانّ الثلاثية هي الاصل الاشيع فيها(٣٩) .

★ : سلكت العبريّة ولغة جنوب الجزيرة والحبشـة سلوك العربيّة ايضا ؛ فقد أضافت من الاصوات ما يدلّ على الكميّة على اصل اللفظ الدال على التكرار المجرّد . وهكـذا جاءت الياء والميم « يم » في العبرية لتشير الى الكمية في حـين جاءت « شنا » تدل على التكرار لاغير فكانت من ذلك لفظة « شنايم » . ويقال ذلك ايضاً في كلمة « سَنيت » في لغة جنوب الجزيرة والحبشـة ؛ فقد وردت التاء للدلالة على الجمع ووردت «سَني» للدلالة على التكرار غير المحدد . اما الآشـوريّة البابلية فقد اكتفت بـ « شـنا » اصطلاحاً علـى التثنية تكراراً وعددا .

وابتداء من العدد « اثنـين » ينشطر عالم الاعداد شطرين متمايزين ؛ هما الاعداد الفرديّة او الوتريّة ؛ وهي الاعداد التي لا يمكن شطرها الى شطرين متماثلـين بوحدات تامّة . بل لابدّ لأحدهما ان يزيد على الآخر بوحدة عدديّة ؛ وان يقلّ صاحبه عنه بوحدة عدديّة مماثلة ، والاعداد الزوجيّة او الشـفعيّة ، وهي الاعداد التي يمكن شطرها الى نصفين متماثلي الكمية .

● ★ ●

قبل البدء بتدارس الاعداد التي تزيد على « اثنين » يجب القول انّ هذه الاعداد تدخل الدراسة في مرحلة جديدة هي مرحلة الجمع إذ تؤثر العربيّة العدد « واحد » بالإفراد ، والعدد « اثنين » بالتثنية ؛ اما العدد بعد الاثنين فينتظم كلّه في سلك الجمع .

٣(٤٠) : مما يلفت النظر في الاعداد الثمانية المبدوء ؛ بـ « ثلاثة » والمنتهية بـ « عشرة » انّها لم تأتِ على زنة واحدة ؛ بل جاءت على سـتّ زنات ، كما مر بنا قبل في هذه الدراسة ، ولـم تأت من مادّة لغويّة واحـدة بل من ثماني موادّ مختلفة . فقد اعتمد كلّ منها في تأدية معناه على عمادين اثنين ؛ صيغـة تدلّ على الجمعيّـة ولا تحدّد مقدارها بل تشير الى تكرار المادة اكثر من مرّة ومرّة ، ومادّة لغويّة تشير الى كميّة هذا التكرار . فلا تنتظم هذه الاعدادّ الثمانية كما هـو واضح صيغة صرفيـة واحدة تتعـدّد موادّها

(٣٩) تاريخ اللغات السامية ١٤ .

(٤٠) ما تزال الدراسة تتناول المناقشة الثانية ولذلك جاءت الفقرة متممة للفقرتين السابقتين في مناقشة العدد «واحد» والعدد «اثنين» .

اللغويّة(٤١) ، ولا مادّة لغوية واحدة تتعدد صيغها الصرفية(٤٢) .

لقد سبق لنا القول انّ العربيّة لم تؤثر السلّم العددي الأوّل باوزان بدّع لا يشركه فيها غيره . وقد ثبت لنا ذلك بالنسبة للعددين « واحد » و « اثنان » ، وسنبحث ذلك بعد قليل بالنسبة للأعداد الأخرى من هذا السلّم . وقد سبق لنا القول انّ الأعداد الجمعيّة اكتسبت دلالة الجمعية من اوزانها وصيغها الصرفيّة ، ودلالة الكمية من موادها اللغوية .. فما اية القولين يا ترى ؟

يهدينا الاستقصاء الى ما ياتي :

ء : صيغة « ثلاثة » : « فَعالَة » . وجاء عليها من الالفاظ : اثنتان وخمسون لفظة من الصحيح(٤٣) ، واثنتان واربعون لفظة من المضاعف(٤٤) وسبع لفظات من المثال(٤٥) ، وثلاث من اللفيف المفروق الواويّ ، واربع من اللفيف المفروق اليائي(٤٦) ؛ وست من الأجوف الواويّ ؛ وواحدة من الاجوف اليائيّ(٤٧) . فهذه خمس عشرة كلمة ومئة كلمة ، منها ثلاث دوالّ على الجمع هي : « الصحابة » : وهي في الاصل مصدر(٤٨) ، و « الجماعة »(٤٩) و « الزرافة » : الجماعة من الناس . ولا جمع فيها ذا مفرد الا

(٤١) لو كان هذا الاحتمال قائما لكان ممكنا تختار اللغة ايا من الصيغ الست فلو اختارت صيغة «افعلة» لجاءت الالفاظ «الثلثة» و «اربعة» و «اخمسة» و «اسدسة» و «اسبعة» و « اثمنه » و « اتسعة » و «اعشرة» لتدل على ما يرمز اليه الارقام ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ وليس مالم يقل من الاوزان والصيغ الخمس الاخرى .

(٤٢) لو كان هذا الاحتمال قائما لكان ممكنا ان تختار اللغة ايا من المواد اللغوية الثماني ، فلو اختارت مادة «خمس» مثلا لوجدنا الالفاظ «خماسة» و «اخمسة» و «خمسة» و «خيمسة» و «خماسية» و «خَمسة» لتدل على ما يرمز اليه بالارقام ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ ويلتبس فيها كما هو واضح عددان بعددين وليس ما لم يقل في المواد «ثلث» و «ربع» و «سدس» و «سبع» و «ثمن» و «تسع» و «عشر» .

(٤٣) ديوان الادب ١/٣٨٤ .
(٤٤) السابق ٢/٦٧ — ٦٩ .
(٤٥) السابق ٣/٢٢٣ و٢٣٤ .
(٤٦) السابق ٣٦٩ .
(٤٧) السابق ١/٣٨٤ .
(٤٨) السابق ٣٨٥ .
(٤٩) السابق .

« الصحابة » ؛ اذ هي جمع « صاحب » . ولم يجمع « فاعل » على « فعالة » الا هذا(٥٠) .

ب : صيغة « اربعة » : « افْعَلَة » وليست « فَعْلَلَة » بدليل سقوط الهمزة في مشتقاتها كلّها(٥١) ، ولو كانت اصليّة ما سقطت ، ولكانت عندئذ رباعية . وجاء عليها من الالفاظ في اللغة تسعٌ ، منها لفظتان دالتان الجمع هما « الأَرْفَلَة » : الجماعة من الناس ، ومثلها معنى « الاجْفَلَة »(٥٢) ولعلهما واحد . ولا الجمع فيها .

ج : صيغة « خَمْسَة » و « سَبْعَة » : « فَعْلَة » ، وجاء عليها خمس وثلاثون لفظة ومثتا لفظة من الصحيح(٥٣) ، وإحدى وسبعون لفظة من المضاعف(٥٤) ، وثلاث وثلاثون لفظة من المثال الواويّ ، ولفظة واحدة من المضاعف الواويّ ، ولفظتان من اللفيف ؛ ولفظة واحدة من المثال اليائيّ(٥٥) ، وثلاث وثلاثون لفظة من الاجوف الواويّ(٥٦) وإحدى وثلاثون لفظة من الاجوف اليائيّ(٥٧) . فمجموع ما جاء عليها خمس وثلاثون لفظة وثلاث مئة لفظة ، منها اربع عشرة دالة على الجمع هي :

الحَلْبة : الخيل تجتمع للسباق من كل أوب ولا تخرج من موضع واحد .

الفَقْعَة : جمع « فَقْع » وهو ضرب من الكمأة وهي من النوادر .

الرَعْلَة : القطعة من الخيل .

الجَمْلَة : يقال : « اخذه بجملته » إذا اخذه اجمع .

الهَجْمَة : الخمسون من الإبل إلى ما زادت ، وقال الاصمعيّ : « هي المئة » .

الجَبْهَة : الخيل .

النَدْهَة : الكثرة من المال(٥٨) .

الكَبْكَة : الجماعة من الناس .

النَخْلَة : الرفيق ، أو البقر العوامل .

الصَرْمَة : الجماعة .

(٥٠) اللسان «صحب» .
(٥١) اللسان «ربع» .
(٥٢) ديوان الادب ١/٢٧٢ واللسان «رفل» و «جفل» .
(٥٣) ديوان الادب ١/١٣٤ — ١٤٧ .
(٥٤) السابق ٣/١٢ — ١٧ .
(٥٥) السابق ٢١١ و ٢١٢ .
(٥٦) السابق ٣٠٧ — ٣١٠ واللسان «فيل» .
(٥٧) ديوان الادب ٣/٣١٠ — ٣١٢ .
(٥٨) السابق ١٢ — ١٧ .

الجَفْنَة : جماعة القوم .
الصَفْنَة : جماعة الناس .
الثلّة : جماعة الغنَم .
الجَمْلة : جماعة يسألون الدِيَة(٥٩) .

ولا جمع فيها كما هو واضح الا لفظة واحدة هي « القَقْعَة » : جمع قَقَعٍ وهو ضرب من الكمأة وهي من النوادر . ويكفينا تعليق الفارابيّ هذا .

ويجب القول ان العربيّة صاغت المصادر الدالّة على المرّة من الثلاثيّ على هذا الوزن ، وصاغت عليه ايضا بعض ما شذّ من المصادر الدالّة على الهيأة(٦٠) .

د : صيغة « سِتّة » و « تِسْعَة » : « فِعْلَة » : وجاء عليها اثنتا عشرة لفظة ومئة لفظة من الصحيح(٦١) ؛ وست وستون من المضاعف(٦٢) ، وثلاث لفظات من المثال(٦٣) . وخمسون لفظة من الاجوف(٦٤) ، وثلاث وستون لفظة من الناقص الواويّ واليائيّ(٦٥) . فمجموع ذلك اربع وتسعون لفظة ومئتا لفظة ، منها إحدى وعشرون لفظة دالّة على الجمع هي :

الرِئْدَة : الجماعة من الناس يقيمون ولا يظعنون .
اللِبْدَة : مثل الرئدة(٦٦) .
عِتْرَة الرجل : رهطه الأدنون(٦٧) .
هم قوم شِجْعَة : اي شجعان ، ونظيره غلمة وغلمان(٦٨) .
العِدْقة : من الرجال ما بين العشرة الى الخمسين .
الحِزْقَة : الجماعة من الناس وهي الخِرْقة
الفِرقة : واحدة الفِرَق من الناس .
السِفْلَة : نقيض العِلْيَة .
الغِزْلَة : جمع غزال(٦٩) .

(٥٩) السابق ١/١٢٤ ـ ١٤٧ .
(٦٠) شذا العرف ٧٦
(٦١) ديوان الادب ٣/١٢ ـ ١٧ .
(٦٢) السابق ٣٥ ـ ٣٩ .
(٦٣) السابق ٢١٣ و ٢١٤ .
(٦٤) ديوان الادب ٣/٢٢٧ ـ ٢٣٠ .
(٦٥) الصحاح مواد باب الواو واليائي .
(٦٦) ديوان الادب ١/١٩٦ .
(٦٧) السابق ١٩٧ .
(٦٨) السابق ١٩٨ .
(٦٩) السابق ١٩٩ .

الجِرْمَة : الذين يجترمون النخيل ، اي : يصرمونه .
الجِزْمة من الإبل نحو الصِرْمَة .
الصِرْمَة : من الابل ما بين العشرة الى الاربعين .
الفِلْمة : جمع غلام .
ضِبْنَة الرجل : عياله(٧٠) .
العِدْة : الفرقة(٧١) .
الجِلة : جمع جليل مثل صبيّ .
حِلّة : قوم حلة : اي حلول (٧٢) .
جِيرة : جمع جار .
شِيعة الرجل : اتباعه وانصاره(٧٣) .
إخوة وأخوة : جمع « اخ »(٧٤) .
حِشوة : حِشوة البطن وحَشوته : امعاؤه؛ وفلان من حِشوة بني فلان ، اي : من رذالهم .
الخِصية : جمع خَصِيّ وكذلك الخصيان.
الصِبية : جمع صَبِيّ وكذلك الصِبيان .
العلية : فلان من علية الناس ، وهو جمع رجل علي ، اي : شريف رفيع .
الفتية : جمع فتيّ وهو السخي الكريم .. وكذلك فتيان وفتوّ .
النِسْوَة والنِسْوَة والنساء والنسوان : جمع امرأة من غير لفظها .

ومن هذه الالفاظ كما هو واضح جاءت كل من « الشجمة » و « السفلة » و « الغزلة » و « الفلمة » و « الحلّة » و « الجيرة » و «الأخوة» و « الخصية » و « الصبية » و « العلية » و « الفتية » و « النسوة » جموعا .

ويجب القول هنا ايضا ان العربية صاغت المصادر الدالّة على الهيأة من الثلاثيّ على هذا الوزن ، وصاغت عليه ايضا بعض ما شذّ من المصادر الدالّة على المرّة(٧٥) .

هـ : صيغة « ثمانية » : « فعالية » لان مادتها « ثمن » ؛ وجاء عليها اربع عشرة لفظة(٧٦)

(٧٠) السابق ٢٠١ .
(٧١) السابق ٣/٢٦ .
(٧٢) السابق ٣٨ .
(٧٣) السابق ٣٢٨ .
(٧٤) من هذه المفردةالى نهاية السردمستفاد من الصحاح للجوهري في موادها .
(٧٥) شذا العرف ٧٦ .
(٧٦) ديوان الادب ١/٧٣ و ٧٤ .

منها لفظة واحدة دالّة على الجمع هي « زبانية »، وهي جمع قيل واحدة « زِبْنيّ » ، وقيل « زبنيَة » ، وقيل « زَبانيّ » ، و « الزُبانية » : الشُرَط(٧٧) . ومما يجدر ذكره ان وزانات الصيغة الثالثة المتصرفة من صيغ منتهى الجموع ـ وهي الجمع الذي يمتاز عن مفرده بالف زائدة وبعدها ثلاثة احرف أوسطها متحرك وثالثها هاء التانيث ـ تأتي على تناغم ايقاعيّ مع صيغة « فعالية » ؛ لانها مثلها في كون الحرفين الاولين مفتوحين ، و الثالث الفا ، والرابع مكسورا ، والخامس مفتوحا ، والسادس هاء تانيث ، وهذه الوزانات مجموع كلّها . وتشيع هذه الوزانات في اللغة المعاصرة في اسماء القبائل والعشائر والاسر ؛ ويمكن تقصي ذلك بنظرة سريعة في معجم القبائل العربية(٧٨) .

و : صيغة « عَشَرة » : « فَعَلَة » ، وجاء عليها خمس وثمانون لفظة ومئة لفظة من الصحيح(٧٩) ، وثلاث لفظات من المضاعف(٨٠) ، وخمس وستون لفظة من الاجوف(٨١) ، ولفظة واحدة من الأجوف الصحيح الواو(٨٢) اما الناقص فتاتي منه اللفظة وقد ابدلت لامها الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فيختلف جرسها وان اتفق صرفها لذلك لا ترى الى ذكرها وعدّها سبيلا . فمجموع الالفاظ اذن هو اربع وخمسون لفظة ومئتا لفظة ، جاء منها ثمان دوال على الجمع هي :

الحَرَجَة : الجماعة من الابل .

الحَفَدة : الاعوان والخدم(٨٣) .

بنو فلان « هَدَرَة » ، اي : ساقطون ليسوا بشيء(٨٤) .

قوم « شَجَعَة » ، اي : شُجعاء(٨٥) .

يقال هم « طَبَقَة » من الناس(٨٦) .

« الدَكَلَة » هم الذين لا يجيبون السلطان من عزّهم(٨٧) .

« البررة » جمع بارّ(٨٨) .

« العَوَرَة » من الأعور(٨٩) .

وهذه الصيغة « فَعَلَة » مقيسة جمعا في « فاعل » صفة للذكر العاقل مما كان صحيح اللام نحو « فاسق ـ فسقة » و « خائن ـ خونة »(٩٠). فالجمع الذي له مفرد من هذه الصيغة كثير جدا . ومنه على سبيل المثال ما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى (بأيدي سفرة كرام بررة)(٩١) و (اولئك هم الكفرة الفجرة)(٩٢) اما لفظة « خَزَنَة » فقد وردت في القرآن الكريم اربع مرات كانت في احداهن مفردة وفي الاخريات مضافة(٩٣) ..

بعد هذا الاستعراض لصيغ الاعداد يمكن القول ان الالفاظ من « ثلاثة» الى «عشرة» هي ليست جموعا بل اسماء جموع . واذا كنا قد وجدنا في عدد مما شابهته من الالفاظ وزنا الفاظا هي جموع قياسية او سماعية لها مفردات من لفظها ، فاننا لا نعرف لاي من هذه الالفاظ مفردات من لفظه .

★ ★ ★

ثالث ما يثيره هذا السلم من المناقشات ان تتبع اصول الفاظه يظهر لنا انها لم تتجاوز الثلاثي ان قط . ولم تقل عنه الى الثنائي الا في «اثنان» . فبالرغم من ان اللغويين يرون انها من « ثَنَيْ » لايمكن الاطمئنان الى ما يَرَوْن . ولعمري لو كان اصلها كذلك لامكن ان يقال فيها « ثنيان » لا ان يتحيل لثنائيتها الواضحة ليتم تساوقها مع الذوق اللغوي العربي في ميله الى الثلاثيّة شانها في ذلك شان اخواتها الساميّات ، فتضاف اليها الهمزة الموصولة في اولها في العربية كما تم ذلك لمادة « اخ » او « دم » او « اب » او يضاف اليها حرف المد في آخرها في الساميات فالنظر في الجدول العددي السامي يظهر الالف في آخر اصل مادة المثنى في الآشورية البابلية وفي العبرية وفي لغة جنوب الجزيرة والحبشة .

ولو كانت «اثنان» ثلاثية لما وجدت لفظة « ثنتان » من غير همزة مع لفظة «اثنتان» بالهمزة .

---

(٧٧) السابق ٢٤ .
(٧٨) معجم القبائل العربية .
(٧٩) ديوان الادب ١/٢٣٤ ـ ٢٤٣ .
(٨٠) السابق ٣/٥ .
(٨١) السابق ٢٣٩ ـ ٢٤٢.
(٨٢) السابق ٢٤٤ .
(٨٣) السابق ١/٢٣٥ .
(٨٤) السابق ٢٢٧ .
(٨٥) السابق ٢٢٨ .
(٨٦) السابق ٢٤٠ .
(٨٧) السابق ٢٤١ .
(٨٨) السابق ٣/٥ .
(٨٩) السابق ٢٤٤ .
(٩٠) ابنية الصرف ٢٠٤ .
(٩١) عبس ٨٠/١٥ و ١٦ .
(٩٢) السابق ٤٢ .
(٩٣) انظر المعجم المفهرس «خزنة» .

ولعل في ورود هاتين الصيغتين للمثنى المؤنث دليلا على الاصل الثنائي للكلمة ، فاستقراء اساليب التأنيث القياسية في العربية يظهر لنا ان لها منهجاً يكاد يكون هو الغالب في التأنيث فيها يمكن صوغه فيما يأتي :

١ : اذا كان المؤنث على وزن المذكر من غير ما تغيير في بنائه اللفظي بنته على الفتح ، والحقته هاء لتحافظ على نطق الفتح وسمتها هاء التأنيث . فاذا اتصلت اللفظة المؤنثة بهذا الاسلوب بما بعدها حولت الهاء تاء(٩٤) ولهذا يأتي مؤنث «مرء» «مراة» ومؤنث « طالب » « طالبة » .

٢ : اذا تغير بناء المؤنث عن بناء المذكر فنقص عنه ، انهت العربية المؤنث بفتحة متوسطة الطول سمّتها الفا مقصورة كما في « غضبان » « غضبى » و « حيران » « حيرى » .

٣ : اذا تغير بناء المؤنث عن بناء المذكر بنقص في بعضه واختلاف في حركاته ؛ انهت العربية المؤنث بفتحة طويلة تقف بعدها على حرف صحيح هي الهمزة كما في «ابيض» و «بيضاء» و « اسمر » « سمراء » فقد نقصت الهمزة في اول المذكّر وفتحت الفاء الساكنة وأسكنت العين المفتوحة(٩٥) .

فالفتح اذن هو الالصق بالتأنيث والادل عليه في المقيس من العربية . ويجد المتتبع ضلالا واضحا لهذا الذوق في غير العربية ، ففي الروسية مثلا يجد الالقاب التي تنتهي بـ « وفيچ » في المذكر تنتهي بـ « وفنا » في المؤنث ، وهكذا نسمع « بافلوفيچ » ومؤنثه « بافلونا » ويجد الاسماء التي تنتهي بـ « وف » في المذكر تنتهي بـ « وفا » في المؤنث ، فنسمع مثلا « فديتوف » ومؤنثه « فديتوفا » . وفي الاسبانية للمذكر « دون » وللمؤنث «دونا» ، وكذلك « مانيول » و « مانيولا » ، و « دوق » و « دوقا » وفي الايطالية « سينيور » و « سينوريتا » ويجد المتتبع ايضا كثيراً من الاسماء في غير هذه اللغات تنتهي بالالف اذا كانت للمؤنث . ولعل في هذا ما يؤيد ان الفتح هو المستحب في الاناث .

---

(٩٤) داب كثيرمن الدارسين على تسمية هذه الهاء تاء وفي الصحيح انها ليست كذلك بل هي هاء كما رأى كبار علماء العربية كالخليل بن احمد وسيبويه والاخفش والفراء والكسائي والمبرد وغيرهم .

(٩٥) بالرغم من اشارات اللغويين والصرفيين سابقا الى علامات التانيث الثلاث المذكورة ، لم يحاولوا استنتاج العلاقات الصرفية الايقاعية بنوع الفتح لصيغة المذكر والمؤنث . والمحاولة هذه في هذا البحث هي المحاولةالاولى في هذا الصدد .

بعد هذه الاستئناسة يمكن القول ان اصل «ثِنْتان» هو «ثنَتان» ، مثنى لـ «ثِنْه» التي هي مؤنث « ثن» وذهب توالي الحركات وكثرة الاستعمال بفتحة النون في «ثِنْتان» وان العربية دارت هذه الثنائية وطبّقت لها في الاصل «ثن» فاضافت اليه حرف الياء فنقلته الى الثلاثية ، وهكذا حاولت الساميات الاخرى ايضاً كما سبق شرح ذلك . ولذلك كان هذا الاصل الثنائي الشاذ الفاذ الوحيد من اصول الاعداد التسعة الاخرى .

رابع المناقشات التي يمكن ان تثار تتناول الاصوات في هذا السلّم . ويظهر بانعام النظر ان الاصوات التي استخدمت في اصول هذه ـ بحسبان اصل «اثنان» ثنائياً ؛ وغض النظر عن الابدال في ستة » ـ بلغت اربعة عشر صوتاً ترددت تسعاً وعشرين مرة .

فالباء وردت مرتين في « ربع » و « سبع » .

والتاء وردت مرة واحدة في «تسع» .

والثاء وردت اربع مرات في «ثني» و «ثلث» و «ثمن» .

والحاء وردت مرة واحدة في «وحد» .

والخاء وردت مرة واحدة في «خمس» .

والدال وردت مرتين في «وحد» و «سدس» .

والراء وردت مرتين في «ربع» و «وعشر» .

والسين وردت خمس مرات في «خمس» و «سدس» و«سبع» و «تسع» .

والشين وردت مرة واحدة في «عشر» .

والعين وردت اربع مرات في «ربع» و «سبع» و «تسع» و «عشر» .

واللام وردت مرة واحدة في «ثلث» .

والميم وردت مرتين في «خمس» و «ثمن» .

والنون وردت مرتين في «ثني» و «ثمن» .

والواو وردت مرة واحدة في «وحد» .

وعندما صاغت العربية الاعداد من هذه الاصوات في صيغها المعروفة اضافت اليها ما تتطلبه الصيغ من اصوات لكل حسب ما هي عليه . وبحسبان الفتحة والكسرة اصواتاً غير الالف والياء حرفي المد ، تكون عدّة الاصوات المستعملة لحاجة الصيغ سبعة اصوات ترددت خمساً وثلاثين مرة وهي :

الهمزة وردت مرة واحدة في «اربعة» .

النون وردت مرة واحدة في «اثنان» .

الهاء وردت ثماني مرات اذ ختمت بهاء الاعداد من «ثلاثة» الى «عشرة» .

الالف وردت اربع مرات في «واحد» و «اثنان» و « ثلاثة » و« ثمانية » .

الفتحة وردت ست عشرة مرة ـ مع عدم حسبانها اذا كانت قبل الالف ـ ؛ مرة واحدة في كل من «ستة» و «تسعة» ، ومرتين في كل من «ثلاثة» و «خمسة» و «سبعة» و «ثمانية» ، وثلاث مرات في كل من «اربعة» و «عشرة» .

الكسرة وردت اربع مرات في «واحد» و «ستة» و «ثمانية» و «تسعة» .

ولما كانت النون قد وردت في اصوات الصيغ يكون مجموع الاصوات التي استخدمت لتكوين الاعداد عشرين صوتاً ، ومجموع ترددها اربعاً وستين مرة .

وتظهر لنا نظرة الى صفات الاصوات انها :

١ ـ منفتحة جميعاً ولا منطبق فيها(٩٦) .

٢ : مستفلة في سائرها ولا مستعلي فيها الا الخاء (٩٧) .

٣ : سائرها رخوة ولا شديد فيها الا الهمزة والباء والتاء والدال (٩٨) .

٤ : سائرها مجهورة ولا مهموس فيها الا التاء والثاء والحاء والخاء والسين والشين والهاء (٩٩) .

٥ : سائرة مصمتة ولاذلقية فيها الا الباء والراء واللام والميم والنون(١٠٠) .

٦ : لا حرف صفير فيها الا السين(١٠١) .

٧ : لا حرف قلقة فيها الا الباء والدال(١٠٢) .

ولاتمام الصورة في ذهن دارسي الاعداد تجدر الاحالة الى الجدول السابق للمقارنة ، ان الناظر في هذا الجدول يجد تناظراً واضحاً في تكويناتها في الساميات المختلفة ، بحيث يستنتج عددا من الملاحظات والحقائق هي :

١ : الفاء واللام في صيغة «ثلاثة» صوت واحد في العربية وهو كذلك في الساميات الا لغة جنوب الجزيرة والحبشة .

٢ : لا يجعل ورود الهمزة في الساميات منها حلق في ثلاثة منها خاء وفي اثنتين منها الحاء . والحرف الثاني فيها جميعاً هو الميم ؛ والثالث في ثلاث منها هو الشين وفي اثنتين هو السين .

٣ : تكرر السين في العدد ستة واصله « سدسة » في بعض اللغات وتكرر مايقابله وهو الشين في بعضها .

٤ : في العدد «سبعة» و «تسعة» تكون السين الحرف الثالث في الساميات كلها الا في الآشورية البابلية .

٥ : في العدد «ثمانية» يكون الحرف الثاني هو الميم في الساميات كلها والحرف الثالث حرف المد والرابع هو النون والخامس حرف علة .

٦ : في العدد «عشرة» يكون حرف العين هو الاول والراء هو الثالث فيها جميعاً .

٧ : لا تختلف اربعة فيها الا في هاء التانيث في العربية .

٨ : ثبات الاول في العدد «واحد» فيها جميعاً .

٩ : تحول الثاء اما الى التاءاو الشينوالسين في الاعداد «اثنين» و «ثلاثة» و «ثمانية» .

١٠ : تحول الخاء الى الحاء في «خمسة» .

١١ : تحول السين الى الشين في الاعداد «خمسة» و «ستة» و «سبعة» و «تسعة» وتحول الشين الى السين في «عشرة» .

١٢ : يختفي حرف الحلق حاءً ثالثاً في «واحد» ويختفي عيناً ثالثاً في «سبعة» و «تسعة» في الآشورية البابلية .

١٣ : الهمزة في «اربعة» مثبتة في الساميات كلها .

فكيف سبق لنا القول بانها مزيدة وغير اصلية في العربية وانها همزة صيغة ؟

يمكن الاطمئنان الى هذا بما ياتي :

١ : ان العربية عندما اشتقت الافعال من العدد «اربعة» اهملت هذه الهمزة وعدتها مزيدة ، بحيث صار الباحث عن اللفظ يجده في «رَبَعَ ـ فَعَلَ» الثلاثي ، لا في «اَرْبَعَ ـ فعلل» الرباعي ذي الهمزة الاصلية التي تكون فاءً للكلمة .

٢ : يجد الباحث ان الاشتقاقات الصرفية جميعالمعنى التربيع اشتقت من الثلاثي «ربع» ايضا .

٣ : لا يجعل ورود الهمزة في الساميات منها حرفاً اصيلا فلعل ما حدث لمادة «ربع» في العربية

---

٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٢ فن التجويد ٦٥-٧٤.

من زيادة الهمزة لتكوين اسم لهذا العدد قد حدث للمادة نفسها في الساميات الاخرى .

٤ : من صفات الساميات «ان اغلب الكلمات يرجع في اشتقاقه الى اصل ذي ثلاثة احرف ـ لبعضها اصل ذو حرفين ـ وهذا الاصل فعل يضاف الى اوله او آخره حرف او اكثر ؛ فتتكون من الكلمة الواحدة صور مختلفة تدل على معان مختلفة (١٠٢) . واقرب ما يمكن لنا تصوره هو ان الهمزة هي المزيدة في اول الكلمة الا ان العين مزيدة في آخرها ؛ ولا ان الراء او الباء مقحمة في وسطها .

وهنا يجب القول ان العربية لم تضع في اصول هذه الاعداد من سماتها المميزة الا صوت التاء ؛ اما الذال والغين والضاد وهي الاصوات الاخرى التي تميز العربية من غيرها من الساميات(١٠٤) فلا اثر لها فيها ، مما يدل على ان هذه الاعداد في العربية حافظت على اصولها الصوتية السامية الاولى

★ ★ ★

خامس ما تجدر مناقشته في دراسة هذا السلّم ما يظهر بوضوح من اختتام الفاظه من «ثلاثة» الى «عشرة» بهاء مفتوح ما قبلها ؛ وتلك هي هاء التانيث .

فلماذا جاء التأنيث هذه الالفاظ يا ترى ؟

حاول من قبل غير واحد من رجال اللغة ودارسيها التعليل لهذا ؛ ولكنهم لم يعللوا له في الاعداد الممحوضة للعد المجردة له ، بل عللوا له فيها متصلة بالمعدود ، وقد جمع اقوالهم ابو بكر محمد بن القاسم الانباري في كتاب المذكر والمؤنث فقال : «فان قال قائل : «لم صارت الهاء تثبت في عدد المذكر من الثلاثة الى العشرة ، ولا تدخل(١٠٥) في عدد المؤنث من الثلاث الى العشر » ؟ قيل له : « في هذا ثلاثة اقوال : » قال الفراء ومن قال بقوله : «تثبت في عدد المذكر من الثلاثة الى العشرة ، ولم تثبت في عدد المؤنث من الثلاث الى العشر ، لان العدد مبني على الجمع ، فلما كانوا يثبتون الهاء في جمع المذكر فيقولون : «صبي» و «صبية» ؛ و «غلام» و «غلمة» ، و «رغيف» و «ارغفة» ؛ و «قرد» و «قردة» ؛ و «حجر» و «حجارة» ؛ اثبتوها في عدده لان العدد مبني على الجمع ، ولما كانوا لايدخلون الهاءفي جمع المؤنث فيقولون «ركبة» و «ركب» و «قردة» و «قرد» لم يدخلوها في عدد المؤنث ، لان العدد مبني على الجمع ؛ ولم يحك في الاعلال لهذا عن الخليل ويونس وسيبويه والاخفش وغيرهم من شيوخ البصريين شيء ؛ وقال ابو حاتم السجستاني : «انما ادخلو الهاء في عدد المذكر ، ولم يدخلوها في عدد المؤنث،لان المؤنث اثقل من المذكر ، واكثر المؤنث فيه هاء التانيث ، فجعلوا جمع المؤنث بلا هاء ليكون اخف له ، لان الهاء لزمت الواحدة وذلك ثقل ، فكرهوا ان يمكنوا ذلك الثقل ، حتى ينتقل من الواحد الى الجماعة ؛ ففروا من ذلك فحذفوا الهاء من الجمع ليعتدل الجمع ، فيكون ثقيل مع خفيف واما المذكر فخفيف فادخلوا الهاء في جمعه ، فقالوا : ثلاثة ، ليكون خفيف مع ثقيل فيعتدل ؛ وكرهوا ان يجمعوا بين الثقيلين فجعلوا ثقيلا مع خفيف ، وخفيفا مع ثقيل ، قلت [والكلام لابي بكر الانباري] : ثم نقض ابو حاتم هذاالقول على نفسه بأن قال : الثلاث الى العشر مؤنث على كل حال ؛ الا انه مؤنث لا علامة للتأنيث فيه ، فهو اخف لفظاً مما فيه حروف التانيث ، فهذا تناقض ، لانه زعم انهم لم يدخلوا الهاء في عدد المؤنث ، لان المؤنث ثقيل ؛ فارادوا ان يكون خفيف مع ثقيل ؛ وادخلوا الهاء في عدد المذكر لانه خفيف، فارادوا ان يكون ثقيل مع خفيف ؛ فدل هذا الكلام على ان عدد المذكر مؤنث ، وعدد المؤنث مذكر(١٠٥) .

ثم ساق الانباري را ي المبرد محمد بن يزيد فيما تلا ، فلم يكن فيه تعليل التأنيث عدد المذكر وتذكير عدد المؤنث ، بل عد الامر قاعدة ناقش ما شذ عنها (١٠٦) .

اما را ي السجستاني فقد كفانا الانباري رده عليه . واما را ي الفراء في ان العدد مبني على الجمع في لفظه بورود صيغ من الجمع بالهاء للمذكر وصيغ بغير الهاء للمؤنث فمردود عليه بأن ما اورده من صيغ الجمع ليست اولى بالقياس عليها من غيرها من الصيغ التي لا هاء فيها ، فجمع صبي «اصبب» و«صبيان» و «صبوان» وجمع «غلام» : «غلمان» وجمع «رغيف» «رغف» و «رغفان» و «تراغيف» وجمع «قرد» «قرود» و «اقراد» و «اقرد» و «قرد» وجمع «حجر» : «احجار» و «أحجر»

(١٠٢) تاريخ اللغات السامية ١٤ .
(١٠٤) السابق ١٧٧ .
(١٠٥) كتاب المذكر والمؤنث ٦٢٥ .
(١٠٦) كتاب المذكر والمؤنث ٦٢٨ وما بعدها .

و «حجر»(١٠٧) . فلماذا تركت العرب هذه الجموع كلها ولم تبن العدد للمذكر الا على ذي هاء التانيث ؟

وجمع «ركبة» : «ركبات» ، وجمع «قِردَة» : «قِردات»(١٠٨) مما تلحقه علامة التانيث ، فلماذا تركت العرب هذه الجموع ، ولم تبن العدد للمؤنث الا على الجمع الخالي من علامة التانيث هاءً كانت ام غيرها ؟

ان الفصل في هذا يمكن ان يقوم كما ياتي : لقد سبق القول ان الفاظ الاعداد لم تكن تستعمل في مبدأ استعمالها مجردة ؛ بل مرتبطة بالمعدود . واذ كانت معدوداتها كلها جموعاً مضافة اليها الاعداد انفسها ، عوملت من حيث التانيث والتذكير معاملة ما يسبق المجموع او يلحق به من اسبابه ، لان الالفاظ التي تدل على الجمع تعامل معاملة المؤنث الا اذا كانت على صيغة الجمع بالواو والنون رفعا والياء والنون نصبا وجرا اذ يجب في اسبابها التذكير لتأولها بالجمع(١٠٩) . ولكن الناظر في كتب التذكير لتأويلها بالجمع (١٠٩). وولكن الناظر في كتب العربية يجد ميلها الى التانيث واضحا قويا ، ويظهر ذلك في كتاب الله العزيز كثيراً ؛ من ذلك قوله تعالى: (قالت الاعراب آمنّا)(١١٠) وقوله تعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى)(١١١) وقوله تعالى (وتابى قلوبهم) (١١٢) وقوله تعالى (اتتهم رسلهم بالبينات)(١١٣) وقوله تعالى (او لم تك تاتيكم رسلكم(١١٤) ، وقوله تعالى (تاتيهم الملائكة)(١١٥) وقوله تعالى (فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزء ثم ادعهن يأتينك سعيا(١١٦)) ، وقوله تعالى (الم تر انّا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازّا)(١١٧) وقوله تعالى (قال آمنت انّه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل)(١١٨) ؛ وقوله تعالى (ام تامرهم احلامهم بهذا)(١١٩) . وقد وردت لفظة «قالت» في احدى عشرة مرة في القرآن الكريم مسندة الى جمع مذكر . لقد تحملت اسباب الجموع كما راينا علامة التانيث ولم تتحملها هي .

وهكذا تحمّل هذه الكلمات علامة التانيث مع جموع المذكر لتشير الى لمح هذه الصفة الغالبة من صفات الجمع عند العرب ؛ وهكذا ايضا ارتبطت الاعداد بهاء التانيث عندما كانت سببا من اسباب جمع المذكر فارتبطت هاء التانيث بتذكير المعدود حتى عندما يكون المعدود مما يجمع بالواو والنون والياء والنون . وعندما جردت هذه الاعداد من المعدود واستعملت ممحوضة للعدّ لاغير حملت معها هذه الهاء .

اما تذكيرها مع المؤنث كما سيمر بنا ذلك فليس غريبا في العربية فاذا كان تانيثها مع المذكرات المجموعة سببه لمح التانيث في الجموع المذكرة تلك، فان وضوح صفة التانيث في الجمع يغني الاعداد عن تحمل علامة الصفة . وليست الاعداد بدعا في تحملها الصفة عن معدوداتها في العربية ؛ اذ فيها ايضا صفات تحمل عن موصوفاتها علامة التانيث ان لم يكن في الجملة دليل على التانيث . وهذه الصفات هي التي جاءت على زنة «فعيل» بمعنى المفعول ، و «فَعُول» ، و «مِفعال» و «مِفْعَل» ، اذ هي صفات يستوي فيها المذكر والمؤنث ؛ فاذا جاء في الجملة دليل على التانيث لم تؤنث الصفة فتقول مثلا «زينب امراة حبيب» ، اما اذا قلت «مررت بحبيب» فان المعنى ينصرف الى المذكر لاغير، فاذا كنت تعني المؤنث قلت «مررت بحبيبة» (١٢٠) وفي العربية صفات لا تحتاج الى التانيث لاقتصار الوصف بها على المؤنث ، وقد مرّ بنا في درسنا للعدد «واحد» ذكر جماعة منها .

ومهما يكن من امر فان العربية في سلوكها مع العدد في التانيث والتذكير ليست بدعا في الساميات فان العبرية والسريانية تسلك ذلك ايضا (١٢١) .

★ ★ ★

سادس ما تجدر مناقشته في امر هذه الاعداد في هذا السلم هو انها تتسم بسمة تخالف فيها ما تعارف عليه علماء العربية بعامة في امر الكلمات المجردة . فالناظر في كتب العربية يجد ان الاسما ترد فيها غالبا مفردة ، مذكرة ، مرفوعة ، محلا

(١٠٧ و ١٠٨) لسان العرب مواد هذه الالفاظ .
(١٠٩) شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ٤٠٢/١ .
(١١٠) الحجرات ١٤/٤٩ .
(١١١) التوبة ٣٠/٩ .
(١١٢) السابق ٨ .
(١١٣) السابق ٧٠ .
(١١٤) غافر ٥٠/٤٠ .
(١١٥) الانعام ١٥٨/٦ والنحل ٢٢/١٦ .
(١١٦) البقرة ٢٦٠/٢ .
(١١٧) مريم ٨٣/١٩ .
(١١٨) يونس ١٠ / ٩٠ .
(١١٩) الطور ٣٢/٥٢ .
(١٢٠) شذا العرف ٩١ ـ ٩٢ .
(١٢١) تاريخ اللغات السامية ٣٦٢ .

بأداة التعريف . ولعل هذا يتضح في المعجمات اكثر منه في غيرها .

ان النظر في هذه الالفاظ يؤدي الى انها :

١ : اسماء جموع فالمفرد لها من لفظها ليؤثر فيها ، بل هي مفردة بما انها اسماء جموع ، واما «واحد» فمفرد واما «اثنان» فاسم على حياله وهو بذلك مفرد ايضا .

٢ : ذات صيغ في التانيث والتذكير ثابتة مترثة ، فلا يصح عليها ما يصح على سواها ليذكر لمؤنثها مذكر .

٣ : مرفوعة الالفاظ في الدرج ، موقوفة في غير الدرج . ولقد قرن اصحاب معاني القرآن ومعربوه ومفسروه حروف اوائل السور وحروف المعجم ايضا بالاعداد من حيث الوقف . واقدم من فعل ذلك منهم ابو الحسن الاخفش الاوسط سعيد بن مسعدة اذ قال : « ان العرب تقول في حروف المعجم كلها بالوقف اذا لم يدخلوا حروف العطف، فيقولون « الفْ باءْ تاءْ ثاءْ » ويقولون : «الفْ وباءْ وتاءْ وثاءْ » وكذلك العدد عندهم ما لم يدخلوا حروف العطف ؛ فيقولون «واحدْ» «اثنان» «ثلاثة» . ويدلك على انه ليس بمدرج قطع الف «اثنين» وهي من الوصل ؛ فلو كان وصلها بالذي قبلها لذهبت ؛ ولكن هذا من العدد ، والعدد والحروف كل واحد منها شيء مفصول على حياله (١٢٢) » . وقد قال الزجاج بمثل ذلك (١٢٣) ، والزمخشري ايضا وابو حيان الاندلسي (١٢٤) .

ان النظر في هذا يؤدي بنا الى القول ان الاعراب يدخل الكلمة متصلة بسواها اي اتصال مهما دنا وقل ؛ فاذا لم يظهر ذلك الاتصال عدم الاعراب . الا ترى ان الدرج بالعطف اظهر الاعراب في كلام العرب ؛ وان القطع والوقف اخفاه وطمسه؟

٤ : مجردة من اداة التعريف . ويمكن التاول لذلك بما يأتي :

ء : ان الكلمة في المعجم العربي وسواه من كتب العربية انما توضع في سياق يبني عليها فيه سواها فتكون مسند اليها . فهي بذلك مبتداة في اغلب احوالها . وتعريف المبتدا هو الاصل ورفعه كذلك . وليست الاعداد كذلك .

ب : انها كانت من قبل في اغلب احوالها مضافة الى ممدوداتها مما يمنع اقترانها بحرف التعريف ولزمها ذلك حين جردت من المعدود ومحضت للعد.

ج : انها في التجريد اسماء لمعانيها فلا حاجة بها الى اداة التعريف .

د : لا يصدق عليها اي نوع من انواع اداة التعريف «ال» فهي معها لا للعدد ولا لاستغراق الجنس ولا لتعريف الحقيقة (١٢٥) .

وما هذه التعليلات الا محاولات تساق في موضع وموضوع لا يسعف فيهما غيرها .

★ ★ ★

يجب القول بعدْ ان الدارس لا يضع قلمه بعد هذه الاسطر الا وفي نفسه اشياء كثيرة واشارات متعددة نرجو الله تعالى ان يوفقنا برحمته الى انضاجها وارسائها على شاطيء الدراسة انه سميع مجيب .

والحمد لك من قبل ومن بعد

بغداد في مساء الخميس الرابع عشر من ذي القعدة الحرام١٤٠٢ هـ

الثاني من ايلول ١٩٨٢ م .

(١٢٢) معاني القرآن للاخفش ١٤٦ - ١٤٧

(١٢٣) معاني القرآن واعرابه للزجاج ٢١/١ .

(١٢٤) الكشاف للزمخشري ٢٠/١ البحر المحيط لابي حيان ٢٢/١ .

(١٢٥) شرح ابن عقيل لالفية بن مالك ١٥٤/١ .

المصادر والمراجع :

١ : أبنية الصرف في كتاب سيبويه ـ للدكتورة خديجة الحديثي ـ مكتبة النهضة ـ بغداد ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م .

٢ : الامالي الشجرية لابي السعادات عبدالله العلوي الحسني ابن الشجري ـ حيدر آباد الدكن ـ دائرة المعارف العثمانية ١٣٤٩ هـ

٣ : البحر المحيط لابي حيان الاندلسي ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٩٨٦ م .

٤ : التبيان في اعراب القرآن لابي البقاء العكبري ـ تحقيق علي محمد البجاوي ـ القاهرة ١٩٨٦ م .

٥ : تاريخ اللغات السامية ـ لابي ڤوبب ولفنسون ـ دار القلم بيروت ـ ١٩٨٠ م .

٦ : جمهرة اللغة لابن دريد ـ دائرة المعارف العثمانية ١٣٤٥ هـ .

٧ : ديوان الادب للفارابي ـ تحقيق احمد مختار عمر ـ ـ القاهرة ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م .

٨ : شذا العرف في فن الصرف للحملاوي ط ١٦ ـ القاهرة ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٥ م .

١٠ : شرح ابن عقيل لالفية ابن مالك تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط ١٣ ـ القاهرة ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٢ م .

٩ : شرح الاشموني لالفية ابن مالك (حاشية الصبان) مطبعة البابي الحلبي ـ القاهرة .

١١ : شرح رضي الدين الاستربادي لشافية ابن الحاجب ـ الاستانة ١٢٧٥ هـ .

١٢ : الصحاح للجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور عطا ـ القاهرة ١٣٧٧ هـ .

١٣ ـ فن التجويد لعزة عبيد دعاس ط ٧ ـ حمص ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م .

١٤ : القرآن الكريم .

١٥ : القاموس المحيط للفيروزابادي ـ القاهرة ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢ م ـ البابي الحلبي .

١٦ : الكتاب لسيبويه ـ تحقيق عبدالسلام محمد هارون ـ القاهرة ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م .

١٧ : كتاب المذكر والمؤنث لمحمد بن القاسم الانباري تحقيق طارق عبد عون الجنابي ـ وزارة الاوقاف بغداد ـ ١٩٧٨م.

١٨ : الكشاف للزمخشري ط بيروت ١٣٦٦ هـ ـ ١٩٤٧ م .

١٩ : الكامل في اللغة والادب للمبرد تحقيق زكي مبارك واحمد محمد شاكر القاهرة ١٣٥٥ ـ ١٣٥٦ هـ ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧ م ـ مصطفى البابي الحلبي .

٢٠ : لسان العرب لابن منظور ط بيروت ١٣٧٤ هـ ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٥ م ـ ١٩٥٦ م .

٢١ : المختار من صحاح اللغة للرازي تحقيق عزة القصيباتي ـ مطبعة المفيد ـ دمشق ١٣٥٨ هـ .

٢٢ : المخصص لابن سيده ط دار الطباعة الكبرى الاميرية ـ القاهرة ١٣٢١ هـ .

٢٣ : المزهر في علوم اللغة لجلال الدين السيوطي تحقيق جاد المولى والبجاوي وابي الفضل ابراهيم ـ القاهرة .

٢٤ : المصباح المنير للفيومي تحقيق مصطفى السقا ـ القاهرة ـ البابي الحلبي .

٢٥ : معجم قبائل العرب لعمر رضا كحالة بيروت دار العلم للملايين ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

٢٦ : معاني القرآن للاخفش ـ (رسالة دكتوراه) تحقيق عبدالامير محمد امين الورد ـ جامعة بغداد ـ ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

٢٧ : معاني القرآن للفراء ـ تحقيق احمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح اسماعيل شلبي القاهرة ـ ١٩٥٥ م ـ ١٩٧٢ م .

٢٨ : معاني القرآن واعرابه للزجاج تحقيق عبدالجليل عبده شلبي ـ القاهرة ١٩٧٣ م ـ ١٩٧٤ م .

٢٩ : الممتع في التصريف لابن عصفور الاشبيلي تحقيق فخر الدين قباوة ط ٢ ـ ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .